

كتب بالعربية

يوميات حصار بيروت صيف عام ١٩٨٢: الرحيل من الخيمة الأخيرة

جميل هلال

حيفا: مكتبة كل شيء، ٢٠١٧. ١٩٠ صفحة.

السياسيين من الفلسطينيين واللبنانيين والعرب والأجانب، مُظهراً دورهم أكان إيجابياً أم سلبياً، مثل أبو عمار وأبو الوليد وهاني الحسن ووليد جنبلاط وصائب سلام وعبد الحليم خدام وفيليب حبيب وغيرهم. ولعل الإضافة النوعية في يوميات هلال تكمن فيما احتوت من مراجعة نقدية مبكرة للتجربة الفلسطينية في حصار بيروت عبر معالجته للأحداث، وتحليلاته لمواقف مختلف الأطراف، واستشرافه للمستقبل، ونصائحه لتدارك الأخطار المقبلة بعد انتهاء المعركة. غير أن في اليوميات شحاً في المعلومات بشأن تكتيكات المقاومة الفلسطينية العسكرية من قبيل تقدير قدراتها القتالية وخططها المعدة لمواجهة الحصار وتوزيع قواتها وتفصيلات المعارك التي خاضتها ضد القوات الإسرائيلية الغازية

التاريخية الأخرى بسبب وقوع بلدهم تحت الاحتلال منذ بدايات القرن الماضي حتى الآن، علاوة على أن لليوميات ميزات لا تجدها في غيرها من مصادر التاريخ. دون جميل هلال يومياته ما بين ٦ حزيران/يونيو و٢٩ آب/أغسطس ١٩٨٢، راوياً فيها ما مر ببيروت الغربية من أحداث، ومسجلاً أخبار القصف المتواصل على أحيائها براً وبحراً وجواً مبيناً وقته ومكانه ونتائجه، وشارحاً بإسهاب تحركات القيادة الفلسطينية السياسية ومواقفها من المبادرات التي طرحتها الأطراف المتعددة المحلية والإقليمية والدولية، وذاكراً أسماء الفاعلين

عدة أسباب تدفع القارئ إلى الاهتمام بكتاب جميل هلال "يوميات حصار بيروت صيف عام ١٩٨٢: الرحيل من الخيمة الأخيرة"، منها أهمية موضوعه. فهو يتحدث عن حصار مدينة بيروت من طرف قوات الاحتلال الإسرائيلي في سنة ١٩٨٢، وهو الحدث الأهم الذي مرت به القضية الفلسطينية والمنطقة العربية منذ حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ من حيث أحداثه الميدانية وتداعياته المحلية والإقليمية والدولية، ومنها أيضاً طبيعة هذا التناول، إذ إنه جاء على شكل يوميات هي مصدر للتأريخ مهم للفلسطينيين كونهم فقدوا قسماً كبيراً من مصادرهم

ونتائجها، وربما مرد ذلك إلى طبيعة الكاتب ودوره في تلك المرحلة، إذ لم يكن على اتصال مباشر بالواجهة المسلحة، أو إلى تركيز الجيش الإسرائيلي على استراتيجية القصف البري والبحري والجوي والحصار الخانق وتجنّب خوض معركة برية واسعة، وبالتالي ندرة حدوث مواجهات ميدانية مباشرة.

كما أن اليوميات قللت من توصيف قساوة مشاهد الدمار والقتل والتهجير التي تعرّض لها سكان بيروت من الفلسطينيين واللبنانيين.

المقاومة الفلسطينية في مواجهة الحصار الإسرائيلي

شكّل الحديث عن الحصار والمقاومة الفلسطينية وردّة فعلها الميدانية ومناوراتها السياسية مادة رئيسية في اليوميات، إذ تتبعت اليوميات موقف المقاومة الفلسطينية من حصار بيروت، وانتقاله من القرار بالصمود والتصدي وتحويل المدينة إلى

”ستالينغراد عربية“ إلى القرار بالانسحاب والحفاظ على ما تبقى من المدينة سالمًا. وكان القرار المعلن في أول أيام الحصار هو الثبات والمقاومة، وكان الأمل يحدو القيادة الفلسطينية بأن تنجح في فك الحصار وإجبار الاحتلال على التراجع، على الرغم من حجم الآلة الحربية الإسرائيلية والواقع المحلي والإقليمي والدولي الذي لم يكن في صفّها.

وبحسب اليوميات، فإن المقاومة الفلسطينية أقدمت على عدد من التحركات السياسية محلياً وإقليمياً ودولياً، فكانت دائمة التنسيق مع قادة الحركة الوطنية اللبنانية، وخصوصاً وليد جنبلاط وجورج حاوي ومحسن إبراهيم، وفتحت خطوط تواصل مع سائر الأطراف اللبنانية، إسلامية ومسيحية، وعملت على توسيع اتصالاتها الإقليمية فشملت سورية ومصر والسعودية، كما تحركت دولياً فاتصلت بالفرنسيين والسوفييات والأميركيين.

تشير اليوميات إلى أن القبول الفلسطيني بفكرة الانسحاب من بيروت جاء بعد ١٧ حزيران/يونيو، وقد سرّعه طلب الحركة الوطنية اللبنانية من المقاومة الفلسطينية مغادرة المدينة. يقول هلال أنه أخبر بأن الحركة الوطنية اللبنانية وجهت “إنذاراً” لها بضرورة إعلان استعدادها الخروج من بيروت، وإلا فإنها ستحمّلها مسؤولية تدمير المدينة، وقد سلّم محسن إبراهيم الإنذار إلى أبو عمار. وينسجم كلام هلال مع أغلب الأدبيات الفلسطينية، وإن اختلف في حدة التوصيف، فعلى سبيل المثال تشير جملة من المذكرات الفلسطينية التي صدرت بعد الاجتياح بأعوام، إلى وطأة القصف والحصار على المدينة التي لم تعد تحتتمل مزيداً من المعاناة من أجل الفلسطينيين وقضيتهم، الأمر الذي دفع المقاومة إلى اتخاذ قرار بالانسحاب. ويمكن الرجوع في هذا الصدد إلى ما كتبه أحمد عبد الرحمن ونبيل عمرو وبسام أبو شريف وسعيد موسى

الاجتياح الإسرائيلي لن يتجاوز حدود ٤٠ كم داخل الأراضي اللبنانية (ص ٩)، وهو اعتقاد خطأ ساد على نطاق واسع بين القيادات والكوادر الفلسطينية، ذكره عدد منهم في مذكراتهم ومقابلاتهم الصحافية المنشورة بعد الخروج من بيروت مثل أبو عمار وأبو جهاد وجورج حبش ونايف حواتمة وبسام أبو شريف ونبيل شعث ونبيل عمرو وسعيد موسى مراغة [العقيد أبو موسى] وممدوح نوفل وغيرهم، كما أشارت إليه دراسات رصينة مثل دراسة يزيد صايغ الواسعة "الكفاح المسلح والبحث عن الدولة". ويبدو أن منبع الاعتقاد تأكيدات سعودية لأبو عمار (انظر: يزيد صايغ، "الكفاح المسلح والبحث عن الدولة: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٤٩ - ١٩٩٣"، ترجمة باسم سرحان، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٢، ص ٧٣٤)، أو أنه نتيجة تصريحات مسؤولين من دولة الاحتلال منهم رئيس الحكومة بيغن، وتطمينات

صيغة قوات فلسطينية تحت إشراف لبناني شبيهة بقوات جيش التحرير، تبعه إعلان أطراف لبنانية رسمية قبول منظمة التحرير مبدأ الانسحاب من لبنان، ثم قيام شفيق الوزان وصائب سلام في ٢ تموز/ يوليو بتبليغ فيليب حبيب بأن القيادة الفلسطينية توافق على الانتقال خارج لبنان.

المقاومة الفلسطينية في إبان حصار بيروت... مراجعة نقدية

قدمت يوميات هلال مراجعة نقدية مبكرة لتجربة المقاومة الفلسطينية في أثناء الحصار، تُظهر استشعار الكاتب بالمآلات المؤلمة التي كانت تنتظر الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان. وجاءت المراجعة على مستويين: الأول، تقديرات القيادة الفلسطينية لأهداف الحصار الإسرائيلي ومآلاته، والثاني، خياراتها العسكرية والسياسية وأدائها الميداني. اعتقدت القيادة الفلسطينية، بحسب هلال، أن

مراغة [العقيد أبو موسى] ونبيل شعث وغيرهم. ثم يبدأ تتبّع اليوميات لتطور فكرة الانسحاب فلسطينياً حتى الوصول إلى مرحلة الخروج من بيروت، ففي ١٩ حزيران/ يونيو بدأ حديث المقاومة عن رفضها الشروط الإسرائيلية مع نيتها التفاوض بشأن مصير بيروت مع اللبنانيين، ثم طرحت في ٢٢ حزيران/ يونيو انسحاباً إسرائيلياً عن ضواحي بيروت بحدود ٥ - ١٠ كم في مقابل انسحابها إلى المخيمات ودخول الجيش اللبناني إلى المدينة وعقد مفاوضات بين الفلسطينيين واللبنانيين بشأن ترتيب العلاقة بينهما، وبعدها بثلاثة أيام وافقت على مبادرة فرنسية تنص على انسحاب متزامن فلسطيني - إسرائيلي، بحيث تنسحب إسرائيل مسافة ١٠ كم كخطوة أولى لانسحاب نهائي.

وحدث تطور جديد في ٢٩ حزيران/ يونيو حين عرض سعد صايل في لقاءه مع أطراف لبنانية وازنة موافقة منظمة التحرير على

قائد قوات اليونيفيل الجنرال كالاهاان (انظر: بسام أبو شريف، "بيروت مدينتي (مذكرات)", بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠١٠، ص ١٧ - ٢٣).

تنتقد اليوميات عدم إعداد القيادة الفلسطينية لخطة تفصيلية متفق عليها داخلياً ومع الحركة الوطنية اللبنانية، على الرغم من العلم المسبق بنية إسرائيل اجتياح لبنان (ص ٩). ويعارض رأي هلال ما نشره بعض المسؤولين الميدانيين من الفلسطينيين من أن المنظمة لم تكن حتى ١١ حزيران/يونيو قد أعدت خطة للدفاع عن بيروت (انظر: سعيد موسى مراغة [العقيد أبو موسى]، "فلسطين قضية حياتي: ذكرياتي وتجاربي في الثورة الفلسطينية"، بيروت: دار الرواد للنشر والتوزيع، ص ٣٨٥).

الموقف السوري من حصار بيروت

تُظهر اليوميات أن هنالك جملة من المحددات التي

ساهمت في صوغ الموقف السوري، إذ إن همّ دمشق الأول انصبّ على تجنب الخطر الذي مثله الاجتياح الإسرائيلي على النظام السوري وعلى وجود جيشه في لبنان، فلم تكن معنية بتوسيع ساحة الاشتباك مع قوات الاحتلال، ولا بإنقاذ منظمة التحرير، أو مشاركتها عبء المقاومة. وتكشف اليوميات اعتماد دمشق بالدرجة الأولى على الدبلوماسية النشطة، وقدرتها على إشراك العواصم الوازنة في المنطقة في إيجاد حلول، والتواصل مع القوى الكبرى مثل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وفرنسا.

الاتحاد السوفياتي

وخيبة الأمل الكبرى

من المهم الانتباه هنا إلى تعليق اليوميات على موقف موسكو، لمكانتها الدولية وطبيعة تحالفها مع الفلسطينيين في حينه. فاليوميات تقدم نقداً شديداً للموقف السوفياتي الذي رآته

ضعيفاً وتبريراً ومحدوداً ولا يرقى إلى مستوى الحدث، وجاء مخيباً لآمال كثيرين ممن اعتقدوا أن موسكو يمكن أن تتدخل عبر إتمام إنزال قوات في سورية، أو إرسال بوارج حربية إلى شواطئ لبنان وسورية ودولة الاحتلال (ص ٣٢).

لم يتجاوز الموقف الروسي في حده الأقصى إرسال أسلحة وبعض الكوادر المدربة إلى سورية حفاظاً على تماسك النظام السوري، وإطلاق تصريحات معترضة على السلوك الأميركي في لبنان، والطلب من الفلسطينيين الصمود والثبات كما حدث في اجتماعهم مع وفد الجبهة الديمقراطية في دمشق في ١٨ حزيران/يونيو، ثم الطلب منهم في ٤ آب/أغسطس قبول العرض الأميركي وكسب الوقت والتمسك بضمانة أميركية للخروج. ويبدو هلال هنا متفائلاً من ناحية توقيت محاولة السوفيات إقناع الفلسطينيين بقبول الانسحاب من لبنان، لأن

لن ينجروا إلى مواجهة مع
الأميركيين (بسام أبو
شريف، "بيروت مدينتي"،
مصدر سبق ذكره، ص ٤٧).
عوني فارس
كاتب وباحث فلسطيني

ذكر في مذكراته أن السفير
الروسي طلب من أبو عمار
بحضور بسام أبو شريف بعد
٥ أيام من الاجتياح التعامل
مع مقترحات الخروج من
لبنان، وأكد له أن السوفيات

هنالك مَنْ يرى أن موسكو
كانت تحت القيادة
الفلسطينية على قبول
التفاوض بشأن الانسحاب
من لبنان في وقت مبكر،
مثل بسام أبو شريف الذي

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

تحولات المجتمع الفلسطيني منذ سنة ١٩٤٨ جدلية فقدان وتحديات البقاء

مجدي المالكي (مؤلف ومحرر رئيسي)

حسن لدادوة (مؤلف ومحرر مشارك)

٦٠٠ صفحة ٢٠ دولاراً